



The pillars of the female narrative discourse in Iraq

Masar Ghazi Shnawaa

University of Sumer / College of Basic Education / Department of Arabic Language

ABSTRACT

The Iraqi women's novelist discourse has always been in an attempt to provide an accurate definition of women, their lost social rankings, or to meet their political, economic and legal demands, as well as directing the voice of identity independence.

So this research came to stand on the most important pillars on which the feminist novelist discourse in Iraq was based, separated in a theoretical course that stands at the transformation that the feminist novel witnessed, as the woman in the narrative text turned from one subject to the same, so we intended to stand on the female in the feminist narration through three pillars, the first of which stands the rebellious woman, while (the feminist ego is perceived) By (crossing the quality in the feminist narration) and a conclusion that included the most important results reached by the research, and a list of sources.

***Correspondence:**

Masaralshaami4@gmail.com

Received: 07 July 2025

Accepted: 29 August 2025

Published: 01 November 2025

DOI:

<https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol21.Iss4.1014>



This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution License (CC BY 4.0)

<https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>

Cite:

Shnawaa, M. G. . (n.d.). The pillars of the female narrative discourse in Iraq. Wasit Journal for Human Sciences, 21(4).

<https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol21.Iss4.1014>

Keywords: Feminist Novel / Foundations of Feminist Writing / Reading the Self Artistically

مرتكزات الخطاب الروائي النسوي في العراق بعد 2003

أ.م. د مسار غازي شناوة
جامعة سومر / كلية التربية الأساسية / قسم اللغة العربية

المُستخلص

لم يكن الخطاب الروائي النسوي العراقي - في محاولة تقديم تعريف دقيق للمرأة - مشروعاً دقيقاً في إعادة مرتبتها الاجتماعية المفقودة، أو تلبية مطالبها السياسية، والاقتصادية، والقانونية، فضلاً عن توجيهه صوت الاستقلال الهوياتي، والبحث الذاتي العميق عن مشروع تحرر المرأة عن ذاتها المتخيلة. فالرواية النسوية اليوم تطرح الأنثى بعيون الأنثى، وكيف تحيي ذاتها في عطائها، وعبقريتها، وليس في عطالتها وعطبها .

من أجل هذا جاء هذا البحث ليقف على أهم المرتكزات التي استند عليها الخطاب الروائي النسوي في العراق، نطالع فيه مهاداً نظرياً يقف عند التحول الذي شهدته الرواية النسوية، إذ تحولت المرأة في النص الروائي من موضوع إلى ذات. ولحقه . المهاد - بناؤه التطبيقي، فكان للأنثى في السرد النسوي ثلاثة مرتكزات. أولها عند المرأة المتمردة، فيما كان (الأنثى النسوية المدركة لذاتها) مرتكزاً ثانياً، في حين وُسم الثالث بـ(عبور النوعية في السرد النسوي)، وحمل المرتكز الرابع عنواناً (آليات قراءة الذات النسوية فنياً)، وصولاً إلى خاتمة ضمت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، تعقبها قائمة مضان البحث.

الكلمات المفتاحية: الرواية النسوية، مرتكزات الكتابة النسوية، قراءة الذات النسوية فنياً

مهاد نظري: الكتابة النسوية ما بعد الحداثوية.

الكتابة هي إحدى وسائل الأنثى لتكون خلاقة بلغة جديدة، تعتمد أبجدية مختلفة للتعبير عن المختلف، وتمثل نصوصها انعطافاً جمالياً بارزاً في الكتابة النسوية ما بعد حداثوية. فاتخذت الكتابة فعلاً طارئاً، وهجومياً لتدوينات الغياب والتهميش، كتابة همها الأول وعلّمه الأوجد هو الاختلاف؛ لفك عقدة الذكورة المهيمنة فكراً، وحضارياً على الأنماط الاجتماعية والصور الثقافية، وتحريراً للرمز الأنثوي، وفتحاً لفكرة الاختلاف الجنسي، وإعادة صياغة أحلام المرأة المطمورة في سجن العقل الاجتماعي والمتحجر في عقدة الجنس على مدى عقود طويلة من التاريخ الإنساني غرباً وشرقاً.

ترسخت بنى عميقة وهيكل متجذرة لوعي ذات متعالية متمركزة ذكورياً. فلسفة لم تخلُ من رؤية بطريكية بوصفها المثل الأعلى للبشر، إرث يطمس الأشكال والطرازات الجنسية المغايرة عنه، أو الضعيفة والمهمشة سياسياً، واجتماعياً (الأنثى - الأطفال - المعارضون سياسياً). هذا كله ساهم في إقصاء الآخر غير الذكوري، من أجل أن يحظى بفكرة الوجود الهوياتي أو الاختلاف مع المعياري والطبيعي. هذه الفئات مرادفة للموت، والمقصي، ومن لا تاريخ له.

وعليه انخرط الخطاب الروائي النسوي في مدار انقلابي للخطاب المتمركز حول ذاته، لغة تتخطى وتتجاوز منطق الكلمات واللغات، والمنشأ تدمرها لتظل مهووسة بالانفتاح على الآتي، متطلعة إلى سؤال الآخر والدنو من فضاء الغريب وتردداته.

ومن هنا شكل الخطاب النسوي حقراً تفكيكياً في الدلالات التأسيسية لسلطة اللغة فخلق تباعد ينمو من فكرة التصاعدية والتنازلية بين الجنسين، مما أدى أن تسود الكتابة بعد تراجع الصمت.

عرفت الأنثى كيف تتزاح إلى تحويل المعاني الشائعة للحياة والموت غير الولادة من جديد. ذلك أن الكتابة هي سباق مسافات طويلة للخلف صوب الموت الأول والذي لن ينكر مشهده مرة ثانية، بواسطة منطق مرآوي، هي كينونة الخراب الأصلي كما وصفها دريدا، الخراب الذي حل بنا وآل إلى منطق النسيان بفضل الحياة، ورغدها، ونحن نسير بنعشنا إليه بخطى حافية، فقررت الأنثى مواجهة الكارثة بواسطة استلاب الكينونة لمواجهة الخوف، والموحش، ولاجتياز العقد التي يقع فيها الجنس البشري (بگاي، 2019،

ص. 29)

وعليه دأب الخطاب الروائي النسوي العراقي في محاولة لتقديم تعريف دقيق للمرأة أو إعادة مرتبتها الاجتماعية المفقودة أو تلبية مطالبها السياسية، والاقتصادية والقانونية، فضلا عن توجيهه صوت الاستقلال الهوياتي، والبحث الذاتي العميق عن مشروع تحرر المرأة وذاتها المتخيلة. أي أن الرواية النسوية اليوم تطرح الأنثى بعيون الأنثى، وكيف تحيا ذاتها في عطائها، وعبقريتها، وليس في عطالتها وعطبها.

يشغل الخطاب النسوي اليوم على غيرية المرأة، أو قراءة نسوية للمرأة الأخرى في وعيها الجنسي والعنقي التي أصبحت أكثر تمردا وعرقلة وعصيانا وقوة فكرية لمجابهة تحديات الهيمنة وتسلط الذي احتكر خطاباتها. لذلك جاء الخطاب النسوي العراقي في تناوله للمرأة من زوايا أخلاقية ووجودية، انتقلت فيه الأنثى من نقد جينالوجيا الأنظمة الخطابية في رتابتها التاريخية التي لا تنتهي إلى شكل جديد للسرد الثقافي، خطاب سردي سميك بلاغيا، وشعريا يتحقق في الظروف التجريبية التي بموجبها تولد تفسيرات المطالبات الاجتماعية.

تكتب المرأة الرواية بوساطة وعيها بذاتها، وأن هذا الوعي الذاتي عند المرأة هو الذي دفعها على مدار العقود الماضية، إلى التعبير عن نفسها في قالب أدبي. ونلاحظ أن أعداد الأدبيات في تزايد مستمر، فالنساء اللواتي يكتبن الآن في العراق تضاعف عددهن في الحقبة الأخيرة. فالرواية من أكثر الأجناس الأدبية احتفاءً بالذات، سواء أكان ذلك في مضامينها أم في تشكيلها الفني. وقد سعى النقاد إلى الوقوف على الملامح التفوقية التي جعلت هذا الجنس الأدبي هو الأكثر قدرة في التعبير عن الذات الانسانية بكل ملامحها الاجتماعية، والسياسية، والتاريخية (برادة، 2006، ص.16). والمائز أن هذه الكتابات لها شكل وطعم مختلفان عما يكتبه الرجال، وهذا يؤكد وجود اختلاف حيوي لا شك فيه بين أدب الرجل وأدب المرأة. وهذا يدل أن الجنس الروائي بحد ذاته أقرب الأجناس الأدبية القولية إلى عمليات الوعي الذاتي بمعناها الجمعي، والفردية، لما تُنتجه من رؤى وعي العالم ومقاربة الواقع؛ إذ ترتبط الرواية أساسا بالحوار مع الذات، ومع الآخر على اختلاف تجلياته ومناطقه، وهي وسيلة من وسائل إبراز الذات المتصلة بميلاد متعسر للفرد والفرادية بوصفها قيمة إيجابية (أبو هيب، 2003، ص. 21)، وأبلغ مظاهر هذا الاختلاف أن الرجل الروائي يميل في كتاباته إلى سجن المرأة في كليشيهات أو قوالب ثابتة لا تنطبق عليها في الغالب، في حين تكتب المرأة قصة أو رواية، فهي تعالج الموضوعات والمشكلات ذاتها التي يعالجها الرجل كالعلاقة بين الجنسين، والتفاعل بين الفرد والمجتمع ولكن من وجهة نظر المرأة التي تختلف بالطبع عن وجهة نظر الرجل.

وقد سيطرت ثنائية الذات والآخر على كثير من الأعمال الروائية عربيا وعالميا، هذه الثنائية التي تقوم على أساس من التعارض، إن لم نقل من التضاد، وهكذا تقوم العلاقة بين الذات والموضوع على الدحض والشك أو العداوة، أو عليها مجتمعة. كل ذلك مرده إلى الشعور بضياح الهوية والبحث عن ذات مفقودة أما آخر مسيطر، فالذات لا تستطيع أن تتصالح مع نفسها، وتكشف عن خباياها ومميزاتها ويعيوبها إلا في مقابل بحثها عن الآخر بحثا يحمل في مجمله الشعور بالضعف والعجز أمام ذلك الآخر (إسماعيل، 2002، ص. 54).

وجوهر الكتابة النسائية ومنطلق التفكير النسائي يقومان على جدلية الذات والآخر، وهذه الجدلية تجانبها كثير من العلوم الانسانية والفلسفية، فهي جدلية ذات جذور متنوعة تنطلق كل منها حسب الأيديولوجيا التي يتبناها أصحابها؛ لذلك تنوعت الذات في مقابل تنوع الآخر. ولا مغالاة بقولنا أن هذه الجدلية قد سيطرت على معظم الثيمات التي عبرت عنها المبدعة الأنثى في أدبها عموما، والروائي على وجه التحديد؛ ذلك أن المرأة كانت رافضة لصورتها التي حددها لها المجتمع، مما جعلها تشعر بذاتها وقدرتها الخاصة؛ ذلك أن خصوصية الوعي النسائي بأوضاع المرأة وأدوارها ومكانتها في المجتمع تفرض نفسها عندما تدرك المرأة وجود اختلاف بين صورتها لدى الذات، وصورتها لدى الآخر (أوندراس، 2000، ص. 254-255)، وهذا ما يميز الكتابة النسائية الروائية بحضور قوي للذات الساردة وليس للمسروود لها، تلك التي تشعر دوما بضياح هويتها، لذلك نتعامل مع الكتابات النسائية الإبداعية على أنها إعادة فهم لذاتها، أي قراءة لها وليست كتابة لها (قناوي، 2002، ص. 90).

مركزات الأنثى في الرواية النسوية

المرتکز الأول: الأنثى المتمردة

طمحت الذات الانثوية في الرواية النسوية إلى تغيير الأوضاع المحيطة بها سواء أكانت سياسية أم اجتماعية أم اقتصادية أم دينية؛ لإحداث تحول جذري في المحيط الذي تعيش فيه، ويشترط في هذا التغيير أن يكون وفق برنامج متكامل. وقد برزت هذه الذات في عدد من الروايات المدروسة بروزاً متنوعاً يُظهر تنوع دوافع الثورة المحيطة بها، فنجدها ذاتاً ثائرة سياسية مرة، واجتماعية مرة أخرى، وعقدية مرة ثالثة، تقدم لنا (سيدات زحل) لكاتبها لطيفة الدليمي بوساطة السرد الأنثى رافضة للسلطة الذكورية، ثائرة عليها، بل نجد السرد نفسه أراد الثأر من الذكر بوصفه سلطة مركزية قامعة للأنثى، وقد تجسد ذلك في شخصيات ذكورية غائبة ومشلولة، أو مزيفة ومتخاذلة اجتماعياً، فيصبح البلد على إثرها بلا رجال كما تصف الرواية ((الحروب التهمت نصفهم وشردت نصفهم الآخر)) (الدليمي، 2009، ص. 77)، فمهند، وماجد، وهاني إخوة حياة وعمها قياد زهبوا ضحية حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل، والآخرين بين متسلط أو مصاب بعاهة نتيجة عنف الرجال الآخرين كما هو حال (حامد أبو الطيور) الذي قطعت السلطة لسانه بسبب قراءته لمقطع من مسرحية من (مكبث) لشكسبير يدين بها النظام الشمولي ما قبل 2003م، تقول حياة ((جارنا الأخرس حامد أبو الطيور مقطوع اللسان.. لحق بي وأعطاني ورقة كتب فيها . لم أعد أتق بشيء في هذا البلد بعد أن جردني الاستبداد من لساني)) (الدليمي، 2009، ص. 36، 55)، وحازم طليق حياة الذي عملت السلطة السياسية على إزالة ذكوريته بسبب اتصاله بجمعية لحقوق الإنسان تدعى هيومان رايتس ((في بغداد ما عدنا نمتلك براهين لإثبات من نكون حقيقة، فالأسماء ما عادت تدل على معنى واحد، كل الأنساب عرضة للظعن، وكل الأعراق ما عادت تدل على معنى أو أحد، وكل الأعراق مرصودة، أسماؤنا وأوراقنا ووثائقنا ومصائرنا)) (الدليمي، 2009، ص. 149)، يكشف لنا التشكيل النصي أن السلطة والحروب لم تعمل فقط على تقويض الذكورة بل سعت بل معالم السلطة الذكورية ومسح تاريخها.

في مشهد آخر تنتقل لنا بطل الرواية «حياة البابلي» قصة موت "لمى" إحدى الشخصيات المحورية في الرواية ((عندما استيقظت ذلك الصباح أفرغني صوت رجل مجروح يناديني ويولول لدى باب حديقتنا، كان عادل شقيق لى:

ست حياة، ست حياة، اختي لى ماتت، انتحرت....

فعلتها، انتحرت لى، اضرمت النار في ثيابها وانتهى كل شيء)) (الدليمي، 2009، ص. 32)، ولا يقدم على الانتحار إلا من أصبح يائساً مما حوله، تتمالكه الرغبة في المفارقة والابتعاد عن المؤثر الذي دفعه إلى الانتحار وأنهاء وجوده هو ما نلمسه في الوصية التي تركتها لى ((الموت الذي نختاره أهون على أرواحنا من موت يقرره لنا القتلة، بغداد دخلت منطقة الغروب التي ستطول، سأمضي معها في درب الغياب، أدفنوا آلة الكمان معي أو قدموها هدية لزملائي في الفرقة السيمفونية، لم أشأ أن أحرقها معي، الفن برئ من جنوننا... فما جدوى العيش في انتظار الموت المقدر؟؟ كم علي أن أنتظر ليقرر الموت مصيري؟؟ اخترت نهايتي بنفسني، لا تحكموا علي ولا تدينوني... تبين لي أن البشر ينظرون على الغدر بلا استثناء وتتكشف حقيقتهم في لحظة جموح أو ضعف، النساء والرجال هنا يديرون مكانة الموت)) (الدليمي، 2009، ص. 32) الكشف النصي الذي قدمته لى المتمثل بتصفية جسدها وإزهاق روحها يمثل رسالة احتجاج على معاناتها وقوانين المجتمع المجحفة في تحقيق أبسط أحلامها التي لا تتعدى أن تحصل على حياة متوازنة، ومحمية بالفن، موسيقى وشراكة بلا منة ولا خذلان.

إنَّ انتحار لى يبلغنا أنها ناقمة على مفهوم الله عند الجماعات المتطرفة، ولكن مهما جابه الانسان من ضغوطات لا يحق له التصرف بجسده الذي هو في الحقيقة ليس ملكاً له وإنما مملوكاً لله عز وجل والانسان موظف في استعماله فلا يحق له التعدي عليه وسلبه كيانه الخاص تحت أي مؤثر خارجي.

وفي ضوء الاضطهاد الذكوري الذي تعرضت له المرأة والذي أوكل إليها الأدوار الهامشية واستأثر لنفسه كل الأدوار الجسام إمعاناً في تأكيد دونيتها والخط من شأنها ، لهذا كان عليها أن تتمرّد وتتخطى الواقع فتحقق ذاتها ، فتوجه سهام نقدتها بوساطة كتاباتها لكل مؤسسات الدولة القامعة لحرّيتها ، والماسخة لوجودها، فتطلق «دنى غالي» في روايتها (عندما تستيقظ الرائحة) كما جاء على لسان بطلتها (نهلة صباح) التي حاولت الانسلاخ عن كل ما يذكرها بزوجها «رضاً» التي قررت الانفصال عنه تقول لصديقتها ((لا يفكر إلا بنفسه ، يرى رفضه لتعلم اللغة مبرراً ، يضيق بكل تغيير يأتي مني وإن كان قصة شعري أو امتناعي عن تناول الشاي بالسكر ، نحن نختلف بكل شيء، أو صرنا نختلف ، ما نحب ، ما نكره ، اختلفنا كثيراً))(غالي.2006، ص. 33) بل قررت الانسلاخ حتى عن أهلها ، وأقربائها ، بل حتى الحزب الشيوعي الذي كانت تكن له الولاء ورميها لكل الكتب والمجلات الثقافية التي كانت تعني لها الكثير ، كما تخلت عن طبعها وعاداتها في الطعام.

وعليه فإن انسلاخ نهلة يمثل رسالة الكاتبة الراضية للبنية الأبوية للمجتمع الذي يقوم على التراتب والتفاضل والسيطرة، والتمتيط الجنسي الذي يخطف الحقيقة البيولوجية للإنسان إلى التتميط النوعي الثقافي له، فيصبح الجنس مُحدداً أساسياً لقيمة النوع، وأخيراً مركزية الذكورة التي قامت على مبدأ التفاضل بين الجنسين، واستندت في دعواها إلى قيم دينية وثقافية واجتماعية، فتفضيل الذكورة على الانوثة لا يعود إلى الطبيعة، بل إلى الثقافة والقيم الاجتماعية.

المرتكز الثاني: الأنا النسوية المدركة لذاتها

يدرك الفرد ذاته بوصفه المركز الذي تتمحور حوله كل الخبرات الفردية، فهي جزء من المجال الظاهري من منطلق أن شعور الشخص بكيانه ووجوده (ينظر: غنيم، 1975، ص.748). إذ تتمركز الذات حول أنها المتحررة رغبة في الاستقلال عن محيطها الاجتماعي، بعد أن أدركت أنّ مشكلتها الضخمة مع جسدها نابعة من هيمنة الأيديولوجيات الذكورية لا غير، فعمدت إلى كسر ميراث الاستعباد بالتمرد، متخذة البعد الجسدي بمختلف تمثلاته وسيلة للاحتجاج على المؤسسة البطريركية (صداح، 2024، ص. 109)، والنص الروائي هو أحد الفضاءات التي تتجلى فيه رؤية الكاتبة وهي تتبنى عوالم رؤيتها؛ ذلك أن الكتابة هي فعل التمرد الأول وممارسة الأنا؛ ذلك أنها تتعامل مع اللغة التي يتعامل معها الذكر وتتشئ النص الذي يتحول إلى دال بطريكي متعال، فإنها بعد تثبيت ذاتها بفعل التخيل وكشف العالم بغض النظر عن الجانب الأيرويكي الفاعل في نصها، ويكفيها أنها حين تكتب تمثل لحظة الحضور في الغياب؛ ذلك أنها تخلق حيوات الشخصيات وتبني جسور المعاني وتهب الدالات مدلولاتها(عريعر، 2010، ص. 12) كما هو الحال في رواية (طشاري) للكاتبة "إنعام كجه جي" التي سعت إلى تقديم المرأة في صورة مغايرة لما شاع عنها في الرواية التي كتبها الرجال، والذين يعمدون إلى اختزال المرأة في الجسد، واغراقها في خانة الغرائز والشهوات الجنسية، وقد عرضت الرواية ذلك على يد الطبيبة النسائية "وردية" في خضم الصراع الطائفي ، والموت على الهوية، وتهجير الأقليات، والمسلسل الدموي الذي عقب سقوط العراق عام 2003 على يد الغزو الأمريكي للعراق الذي جعل أولاد السيدة وردية وأحفادها يتشتتون في العالم، مضطرة هي اللجوء إلى فرنسا(ينظر: كججي، 2013، ص. 81،83،91)

فيما تعلن الكاتبة عالية ممدوح في رواياتها(محبوبات/ التشهي/ الأجنبية) عن انفلاتها على لسان إناثها من الجاذبية المجتمعية ساعية نحو تجربتها الخاصة البعيدة عن التماهي مع الآخرين معلنة رفضها التام لكل المواضع المتعارف عليها من مفاهيم وشعارات، ومعتقدات وقيم نحو انسحاب من العالم إلى شرنقة الذات(بطلتها روايتها المحبوبات "سهيلة" التي تفصح عن معاناتها الطويلة مع زوجها الذي مارس معها القمع الجنسي، بطرق استهلاكية لجسد الأنثى، من دون تفهم أو مراعاة لرغباتها أو احتياجاتها، أو عدم إدراك أنها في انفصال شعوري تقول: ((يأخذني كحفار القبور فأنقاد إليه كجثة قديمة، يتحكم بظلام الغرفة ويركز قوة الضوء علي .. لا ينظر في وجهي، يفزعني ولا يفزع. أصير فراغا رهيباً...)) (ممدوح، 2003، ص. 213)، الكشف النصي يخبرنا أن الكاتبة في معالجتها لمثل هذه القضايا، أو بعبارة أخرى لعلاقة الرجل بالمرأة، وتركيزها على قضية الجنس والاعتصاب، والاستغلال، وعدم مراعاة متطلبات

الشريك الجنسية، وعجز الرجل أمام ذلك تشير إلى أن تاريخ الجنسانية العراقية تاريخ قمع متأزم، يربط الجسد بالخطيئة، والمرأة فيه دائما الضحية لتختزل تلك العلاقة في ثنائية الصائد والفريسة، الرجل هو الصائد، والمرأة هي الفريسة في العلاقات ليس فقط خارج مؤسسة الزواج / العرف / الدين بل حتى داخلها.

المرتکز الثالث: النوعية في السرد النسوي

تتماز الكتابة النسوية بحضور قوي للمرأة الساردة وليس للمسروود لها تلك التي تشعر دوما بضياح هويتها؛ لذلك تتعامل مع الكتابات الإبداعية على أنها إعادة لفهم ذاتها، أي قراءة لها وليس كتابة لها (قناوي، 2002، ص. 90). وهذا هو ما يميز الكتابة الإبداعية، تكشف بوساطتها المرأة عن ذاتها بوسائل فنية عديدة لتقرأ غيرها هواجسها وملامحها الخاصة. وكتابة نصوص إبداعية بهدف توثيق المراحل التي مرت بها هذه الذات ، وفي الكتابة الأولى تتضح أدبية المرأة المبدعة التي تتبع من قدرتها على قراءة ذاتها ساردة وليست مسرودا لها، وعليه تتسجم الذات المبدعة مع واقع الذات المُغيبية ، والمُهمشة ، والتابعة ليصبح هدف المرأة المبدعة لا يتمثل في إعادة كتابة الذات بل في قراءتها (فرانتشيك ، 2000، ص. 351) لو فتشنا في الرواية النسوية العراقية لوجدناها تركز كثيرا على ظاهرة التهميش والاقصاء وثنائية الضحية والجلاد التي تواجه الانسان منذ اللحظة الأولى وهو ما وقعت عليه إنعام كجه جي في روايتها (طشاري) ، فتسرد الطبيبة النسائية وردية بطلت الرواية حكايتها التي امتزجت بالصعوبات منذ تخرجها طبية والعمل في مدينة الديوانية في الخمسينيات حتى تأسيس أول دار ولادة لمعالجة وتوليد الحوامل حتى فرضت عليها الثورة الجديدة الانتماء لمنظمة نسوية ((وقد أصبحت وردية رئيسة للمنظمة رغما عنها)) (كججي، 2003، ص. 106) في مدينة الديوانية على الرغم من رفضها الشديد لها؛ إلا أنها وافقت تحت ضغط السلطة ، ولم يمنعها العنف الثقافي الذي تعرضت له من التصدي للخوف بثقة عالية وهي تزاوّل عملها لرصد معاناة النساء الحوامل رافضة عدهن مرضى ومستعرضة تعاطفها معهن ، دون التميز بينهما إذا ما كانت احداهن قد حملت بطريقة شرعية أو غير شرعية؛ ذلك أنها كانت ترى أن مهنة الطب هي مهنة انسانية لا تخضع لقانون أو عرف أو دين ، لذلك لم تكن هي تميز بين النساء اللواتي يزرن عيادتها ممن يحملن أجنة شرعية أم غير شرعية خارج مؤسسة الزواج وهي تعلم أن ذلك قد يعرضها للخطر من الأهل أو السلطة (كججي، 2003، ص. 106).

وكانت الطبيبة وردية تواجه مديرها في العمل والسلطات كما تخبرنا الرواية بعد تعرضها للاستجواب عند توليدها لفتاة حملت من دون زواج ((اسمع جناب الضابط، لقد قمت بواجبي كطبيبة وأنت تريد تحويلي الى مجرمة ..إن الفتاة في شهرها الثامن ، لو أخذوها لقابلة لتجهزها، فإنها ستموت ويموت طفلها معها، وأن لم تمت على يد قابلة فعلى يد الأب أو الأخ)) (كججي، 2003، ص. 167) تشير وردية هنا إلى أن واجبها كطبيبة وشرف المهنة يحتم عليها أن تقوم بواجبها كاملا مهما كانت عواقبه ، وحتى وأن كانت الحالة غير مقبولة شرعا وقانونا أو اخلاقيا، ذلك أن مهنة الطب هي مهنة انسانية قبل كل شيء .

وفي رواية الأجنبية للكاتبة "عالية ممدوح" تظهر المرأة متلبسة بكامل الوعي، والإرادة وقدرتها على مجابهة كل مشاق الحياة، امرأة متمردة ((دائما تصورت أن بمقدوره الوصول إلى ولو بطوربيد حربي، قلت له هذا في إحدى السنوات فأطلق ضحكة مججلة كعادته.. اللعنة، لديك العيوب والأخطاء كلها لكنك لا تعوضين جميع النساء اللواتي في حوزتي)) (ممدوح، 2013، ص. 19) ، بطلا روايتها التي ظلت على مدى عقود طويلة تعاني خيانات زوجها ، وظلمه لها ، ومحاولاته المتكررة بطمس شخصيتها ، لكنها ظلت عتية على الهزيمة ، متمردة على الأُم حتى قررت يوما الانفلات من قيود ذلك الزوج بإنهاء زواجهما والذي كان يأبى أن يطلقها مما أدى بها الى الهرب، هربا لم يقتصر على البيت أو الزوج فقط ، بل من أحضان الوطن بأكمله ، حاملة معها جرحها وذكراياتها المؤلمة إلى بلاد الغربية لعلها تجد السكنية التي لم تحلم بأكثر منها في بيت الزوجية ((لو بقيت في مدينة بغداد لهلكت في سن مبكرة . كان لدي استعداد للهلاك، فلنقل التخصص به، ولما كنت/ كنا في العموم كيافاعات طائشات محاطات بنساء جد واقعيات، جلفات القلوب، سمينات يرفعن حواجبهن إلى أعلى وهن يشاهدنني متلبسة لا أدري كيف لاحظن ذلك بصورة حرفية؛ اللا طاعة الخفية، كيف؟ كنت أقول نعم لكل طلب يطلب مني لكني لا أنفذه)) (ممدوح، 2013، ص. 22). مغادرة الوطن كانت محاولة منها لتغيير الانتماء ((لا أريد

الانتساب إليه لو كانت مسافة قبر ولا الانتماء ولا الفناء ولا الغناء ولا الفناء من أجله، لا أريد أن أقطع من نفسي وأعطيه نفسا من أنفاسي ولا ملمترا من دمي السائل القاني العتيق، لا أريد أن انتظره بعد اليوم؛ لكي أبدأ معه حياة عريضة أو ضيقة. أريد أن أكشط وأبتر عضوا بعد عضو؛ لكيلا يبقى فيما يسترجعه ذلك البلد مني ففتحت له شبابيك العالم والمدن والقارات والولايات؛ لكي يتطاير ويتفتت يتشظى ويختفي بالطرق العلمية والشرعية والرياضية والعاطفية، لم أعد أفهم أي شيء منه وما يجري فيه.. فالיום أرغب في موت وطني (...)) (ممدوح، 2013، ص. 91)، عند التأمل في النص نجد أن الذات الانثوية تقرأ تاريخها انطلاقا من الشعور بفقدان هويتها، فهي تسعى لاسترداد هويتها الذاتية حتى ولو خارج حدود الوطن (ناصر، 2021، ص. 990).

المرتكز الرابع: آليات قراءة الذات النسوية فنيًا

اتخذت قراءة الذات النسوية لنفسها آليات تقنية كما ظهرت في الروايات أعلاه منها الحوار الداخلي الذي شكل الأداة الفنية التي تتطلق بوساطتها الذات إلى قراءة ذاتها وفيه تتمظهر عبر معمارية النص، الذي يهيمن عليه الحوار الداخلي، وتوظيف الحوار الداخلي له بعد دلالي مكثف، فهو معادل للعام والسائد الذي يفند إلى الهوية الموضوعية، وهي تحضر حاملة للأزمة ومعانيها فيها (كرام، 2013، ص. 33) ((لم كل هذا الرفض وكأن الإنسان يجب أن يصب في قالب اسمتي يبقى عليه كما هو أمانة حتى يعود إلى تربته باسمه وشكله وتربيته.. اسمي الجديد هو جزء مني، الأمر ليس صعبا أو غريبا (...)) ((غالي: ص44) حوار اليهودية " نهلة صباح" بطله رواية (عندما تستيقظ الرائحة) للكاتبة دنى غالي، الذي يشير إلى ثورة البطلة على نفسها قبل أن يكون ثورة لتعطيم كل القوالب التي صبها الأخر عليها.

وهذا الرفض يتكرر في الحوار الذي كررته بطلة رواية "كم بدت السماء قريبة" مع نفسها ((أمي تتعلم سريعا في المدينة ما رفضته طويلا في الريف...)) ((الخصيري، 2009، ص. 71)).

فيما شكل ضمير المتكلم (الأنا) الأداة الفنية الثانية الفاعلة في يد الروائية، لتقرأ بوساطتها ذاتها قراءة تكشف من خلالها عن واقعها الخاص في المجتمع. تقول حياة بطلت (سيدات زحل): ((أنا حياة وهذه كراساتي التي شرعت بكتابتها منذ سنوات ودونت فيها حكاياتنا، حكاية عشقنا الصاعق، قصص الفقد وأوجاع السجن والاختفاءات...)) ((الدليمي، 2006، ص. 17) بحضور هذا الضمير تعمل الروائية على هدم مجموعة من القيم الاقتصادية والاجتماعية السائدة، وتُعلي من قيم الآخر // الرجل، لتُعلن عن وجودها، فضلا عن أن قراءتها لذاتها هي قراءة لتاريخ أشكال الحرمان والتغيب التي عرفتها المجتمعات ولا زالت تعانيتها، وعليه فإن القراءة تتخذ في مستوى هذه الكتابة أبعادا متعددة بتعدد مظاهر القهر والكبت التي يحفل بها التاريخ.

إن دخول الأنثى مجال الكتابة يعني دخولها دائرة الوعي بالذات والثقافة؛ فالكتابة دال التعليم من حيث هو معرفة ومعلومة وفكر، ودال التعبير والتواصل الذي يعلن الذات ويجاوز حيزها المكاني والزمني ولا تستقيم دلالة الكتابة بالمعنى الإبداعي والأدبي من دون إدراك قيمة الفردية والذاتية، وهي قيمة تحيل الكتابة على دلالة الاستنارة؛ بوصفها نمطا للتفكير الذي يحرر الإنسان من الوصاية، وهي عجز الإنسان عن استعمال قدرته على الفهم من دون توجيه الآخرين (زياد، 2009، ص. 67)، وعليه فقد حرصت الروائية العراقية على تقديم إنائها مكلمات بالوعي والثقافة، فقد صفت كل بطلة من بطلات (عالم النساء الوحيدات) للروائية لطفية الدليمي وراءها الباب بطريقة ما رفضا لواقع لم يعد ينسجم في جوهره مع التحولات الفكرية والثقافية والاجتماعية التي تتلقفها النساء ويقبضن عليها بتصميم، ويستبتن منها الثمار الموعودة تقول بطلة الرواية الأنسة "م" ((أنني لم أكن في يوم من الأيام طفلة صغيرة، وإنما وجدت هكذا كبيرة مثل أي شيء أزلني في هذه المدينة.. لقد وجدوني في حالة مكتملة هكذا، مكتفية بذاتها، أنسة أبدية)) ((الدليمي، 2013، ص. 31) فنجد أن الكاتبة في النص أمرأتها تمتلك القدرة على الهدم والتشكيل، وسيلتها في ذلك الوعي بذاتها.

وعليه فالرواية النسوية العراقية تتعاطى الوعي النسوي بشكل تلقائي، وهي في صدورها عن هذا الوعي تجاوز مشكلة العلاقة مع الذكر إلى العلاقة بالثقافة، ومن ثم غدت الكتابة بوابة المرأة للخروج من دائرة التهميش الذي يرادف الجهل ويحيل إلى انعدام الوعي

بقيمة الفردية والذاتية بما يؤهل الإنسان لمرتبة وصاية غيره عليه، لذلك كان إنقار الكتابة بالمعنى الأدبي والسردى تحديداً، منعطفاً في وعي المرأة في العراق بذاتها وبالتقافة، فكانت الرواية مجلي تمثيلها لما يسحقها ويمحو وجودها.

الخاتمة

تُعد قضية المرأة قضية محورية في كتابات المرأة لاعتبارات منها؛ أن المرأة تكتب عن موضوع لصيق بها ويشكل محور كينونتها. كيف تفكر؟ وكيف تحس؟ ما ينتابها من شعور باليأس والاحباط أو الرضا والحبور عندما تصطمم بسلوك معين؟

شكلت كتابة الذات اشكالية سردية؛ ذلك أن الاهتمام يتحول من الفاعل إلى المفعول به. بدت الذات الانثوية في النص النسوي العراقي هي ذات متمردة من ناحية الكمية والدلالة، ومن ثم تحول هذا التمرد إلى ثورة على المحيط بها من الموجودات السياسية، والاجتماعية. تنطوي الرواية النسوية إلى رغبة تتراعى إلى الإقرار بعقل المرأة واختيارها، وإلى القناعة بالتشارك والتساوي الإنساني والاجتماعي، وقد وظفت الرواية النسوية في هذا الصدد ترسانة التخيل والتأويل النسوي بقصد التفكير لثقافة الذكورة والفحولة على نحو ما من شأنه تعرية أسباب القوة والسيطرة والامتلاك.

من الناحية الفنية وفي مستوى علاقتها بما تروي وجدنا شبه تطابق بين التعبير عن الذات واللغة المستعملة. لذلك تنوعت اللغة وتعددت الأساليب وطرحت إشكاليات جديدة تخص استراتيجية الكتابة المُعبّرة عن الذات في كل مرحلة من مراحلها الثيماتية. فالذات تعاملت مع اللغة بوصفها لعبة استطاعت أن تمرر بوساطتها أنها بكل عوالمها ذات البعد الاجتماعي أو النفسي أو الفلسفي لتطوعها تطوعاً كاملاً مع بوحها بأسرار تلك الذات.

- * - إسماعيل، عز الدين. (2002). الأنا والأنا: بحث قدم ضمن ندوة جدلية الذات والآخر في الثقافة العربية. كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة.
- * - ممدوح، عالية. (2013). الأجنبية، دار الآداب، ط1، بيروت.
- * - أوندراش، فرانتشيك. (2000). البحث عن الذات في الكتابة السردية النسائية، بحث قدم ضمن أعمال المؤتمر الدولي الثاني للنقد الأدبي بعنوان (النقد الأدبي والنقد النسوي). القاهرة.
- * - بكاي، محمد. (2019). جدل النسوية، دار الأمان، ط1، الرباط.
- * - أبو هيف، عبد الله. (2003). الجنس الحائر، أزمة الذات في الرواية العربية. دار رياض الصلح للنشر، ط1، بيروت.
- * - برادة، محمد. (2006). الرواية العربية والآخر، مجلة أوغاريت، باريس.
- * - السرد، الاعتراف، الهوية: عبد الله إبراهيم، دار الفارس، عمان، ط1، 2011م.
- * - كرام، زهور. (2004). السرد النسائي العربي (مقاربة في المفهوم والخطاب)، دار البيضاء، ط1.
- * - الدليمي، لطيفة (2009). سيدات زحل، دار فضاءات، ط1، عمان.
- * - غنيم، سيد. (1975). سيكولوجية الشخصية محدداتها، قياسها، نظرياتها، دار النهضة العربية، ط1، القاهرة.
- * - كججي، إنعام (2013). طشاري، دار الجديد، ط1، بيروت.
- * - زياد، صالح. (2009). القصة النسائية الخليجية والوعي النسوي، مجلة فصول، عدد 75.
- * - غالي، دنى. (2006). عندما تستيقظ الرائحة، دار المدى، ط1، دمشق.
- * - الدليمي، لطيفة. (2013). عالم النساء الوحيديات، دار المدى، ط1، بيروت.
- * - الخضري، بتول. (2009). كم بدت السماء قريبة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط5، بيروت.
- * - قناوي، شادية (2002). المرأة العربية والرقب الداخلي في جدلية الذات والآخر، ندوة جدلية الذات والآخر، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة.
- * - ممدوح، عالية. (2003). المحبوبات، دار الساقى، ط1، بيروت.
- * - عريعر، هيام. (2010). هدم البنى المتعالية في رواية ما بعد الحداثة في العراق، جامعة القادسية، كلية الآداب، بحث منشور على الموقع:

<https://art.qu.edu.iq/wp-content/uploads/sites>

- * - ناصر، سعد داحس (2021)، المكان في روايات سمير نقاش، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، مجلد 17، عدد 3.

DOI: <https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol18.Iss.112>

- * - صداح، عدي بريسيم. (2021). دراسة سمفونية الموتى - دراسة سيكولوجية، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، مجلد 20، عدد 4.

DOI: <https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol20.Iss4.708>

List of Sources

Ismail, Ezz El-Din (2002). The Self and the Self were discussed in a symposium on the dialectic of independence in

.Arab culture, Faculty of Arts, Ain Shams University, Cairo

.Mamdouh Alia (2013). Foreign, Dar Al-Adab, 1st ed., Beirut

Ondrás Frantič (2000). Searching for the Self in Women's Narrative Writing, a research

presented in the proceedings of the Second International Conference on Literature entitled (Literary Organization and
(Feminist Criticism

.Bakay Mohammed (2019). The Dialectic of Feminism, Dar Al-Aman, 1st ed., Rabat

.Abu Haif, Abdullah (2003). The Confused Sex: The Crisis of the Self in the Arabic Novel, Dar Riyad

.Al-Solh Publishing, 1st ed., Beirut

.Brada, Mohammed (2006). The Arabic Novel, Ugarit Magazine, Paris

.Narrative: Abdullah Ibrahim's Confession, Dar Al-Faris, Amman, 1st ed., 2011

Karram, Zahour (2004). Arab Women's Narratives (A Novel in Concept and Discourse), Dar

.Al-Abyad, 1st ed

.Al-Dulaimi, Latifiya (2009). Ladies of Saturn, Dar Fadaat, 1st ed., Amman *

Ghanim, Sayyid (1975). Psychology of Personality: Its Determinants, Measurements, and Theories, Dar Al-Nahda

.Arabiya, 1st ed., Cairo

.Kaji, In'am (2013). Tashari, Dar Al-Jadeed, 1st ed., Beirut

-Ziad, Saleh (2009). For the Story of the Gulf Woman and Consciousness, Fusul Magazine, Issue

Ghali, Dana (2006). When the Scent of the P